كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : الغزل

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: spinning

4-الــغــزل

إن الاغراض الشعرية (المديح والرثاء والهجاء) استطاعت مواكبة الدعوة الإسلامية وأن تسخر كل غرض لخدمة الدين الجديد.

أما الغزل فما كان له أن يأخذ هذا الدور في الأدب الملتزم لخدمة الدعوة لطبيعة موضوعاته ومعانيه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن طبيعة موضوع الغزل في عصر ما قبل الإسلام وكونه في الغالب جزءاً من موضوعات متعددة تشتمل عليها القصيدة الجاهلية جعل تطوره في عصر الدعوة المبكرة محدوداً.

*فكلنا نعرف أن معظم ما قيل من شعر الغزل في الجاهلية قيل في المقدمات الغزلية التي ابتدأ بها الشعراء قصائدهم وبقيت هذه البداية سمة فنية يتبعها الشعراء فيما بعد.

*واذا أردنا تتبع أبيات الغزل في عصر الدعوة الإسلامية لم نجد فيه تطوراً واضحاً كالذي نجده في العصر الأموي لأن الشعراء وهم يبدأون قصائدهم بموضوع تقليدي: أحسوا أن هذه البداية لا تنسجم مع الموضوع المهم الذي وجه إليه اشعارهم و هو موضوع الدعوة الإسلامية.

*و نجد في قصائد حسان الإسلامية التي التزم بها بالشكل الفني للقصيدة العربية لمحات خاطفة تشير إلى الشعور بعدم جدوى هذه الإفتتاحية مع تعوده عليها.

أما كعب بن زهير فإن أبياته المشهورة في قصيدته التي مدح بها الرسول) صلى الله عليه وسلم (ليست غزلاً بالمفهوم الذي نعرفه وهو التغني بصفات المرأة أو الحبيبة ، ومن يقرأ أبياته يجده واصفاً لوعته وحبه لسعاد ذاكراً جمالها في بيت واحد أما الأبيات التي تليها فهي وصف لغدرها وهجرها ، وينتقل بعدها إلى الإعتذار عن مواقفه العدائية من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يستمر بمدحه:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول متيم إثرها لم يجز مكبـــــــول

وما سعاد غداة البين إذ عرضت إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وما تدوم على العهد الذي زعمت كما تلون في أثوابها الغـــــول

ولا تمسك بالود الذي زعمـــت كما تمسك بالماء الغرابيـــــل

نبئت أن رسول الله أوعدنـــــي والعفو عند رسول الله مأمــول

*وقد بالغ بعض الباحثين فرأوا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم (أكرم كعباً وكساه كسوته لأنه اعجب بالقصيدة وجودتها فأثابه عليها.

ورأى آخرون ان سماع الرسول لقصيدة كعب دليل موافقته على ما ورد فيها كالمقدمة الغزلية خاصة.. وهو أمر يرجح عليه تعليل آخر هو أن الرسول كان قد أهدر دم كعب وإنه لخوفه قدم عليه متخفياً و أعلن الشهادة وطمأنه حين قرأ عليه قصيدته كساه البردة إعلانا و إشهاراً لعفوه عنه ليشيع بين المسلمين العفو عنه.

*وحين تثبت قواعد الدولة الإسلامية و يتوزع الشعراء في رقعتها فيتنوع شعرهم وأغراضهم الفنية ويصيبها تطور كبير يوافق اتساع الدولة الاسلامية وتوسعها، في العصر الأموي فيتخذ الغزل طابعاً جديداً مختلفا عن طابع ما قبل الاسلام في معانيه وصوره.

*فالشاعر المتغزل يستمد من معاني القرآن ما يعينه على وصف لوعته وحبه ومن التعاليم الإسلامية ما يسمح له بترقيق قلب الحبيبة ، و كذلك يتأثر بكثير من مبادئ الإسلام أو بالأحرى يكثر من الصور الفنية الواردة في القرآن ليصف جمال صاحبته و حبه لها وهذا تطور كبير في فن الغزل فاق به غيره في العصر الأموي.

*وكذلك إن قلوب المسلمين في نجد والبادية زادها الاسلام رقة وعفة و أبعدها عن الفحش في الغزل تصويراً مادياً مما خلق ضرباً

جديداً من الغزل لم يعرفه الأدب العربي من قبل و هو الغزل العذري.

*ان تتبع المعاني الجديدة التي دخلت هذا ألفن ، هي معان دخلت بظهور الاسلام وهي صور لم تقتصر على الغزل العذري بل تجاوزتها لتدخل إلى موضوع الغزل عامة العفيف منه والصريح.

*و إن تطور معاني الغزل جاءت طبيعية بسبب سيادة الاسلام و مبادئه ، و استقرار الوضع الاجتماعي في العصر الأموي خاصة.

فإذا أراد الشاعر أن يجعل صاحبته ترق لحاله فإنه يصف وجده وآلام نفسه ويذكرها بعقاب الله لكل من قتل عمداً. يقول العرجي:

فخافي عقاب الله في قتل مسلم بريء ولم يقتل قتيلاً فيقتل

*ويقول جميل بثينة لقد بلغ به الوجد مبلغه داعياً الله أن يرقق قلب بثينة أو ينسيه حبها ليستريح

فيا رب حببني إليها واعطني المودة منها أنت تعطي وتمنع

وإلا فصبرني وإن كنت كارها فإني بها يا ذا المعارج مولع

*وكون الله تعالى يعلم سرائر النفوس وما تخفي من حب وألم فقد استغلها شعراء الغزل ، فالشاعر النابغة الجعدي يصف حاله وهو يخفي اسم صاحبته و يكنى بغيرها، وهو عالم بأن الله وحده العالم بما يخفي قلبه :

وأكلني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتم

*وقد استفاد عمر بن أبي ربيعة من هذه العناصر والأفكار التي دخلت لغة الغزل و استعملها في نقل الحوار الذي يدور كثيراً في

أشعاره بينه وبين من يحب ، أو بينه وبين رسل الحبيبة ، فيقول ناقلاً ما ورد على لسان صاحبته التي تتهمه بأنه لا يبقى على حب واحد مع ذلك فهي تحبه بدليل أنها تدعو الله ليغفر له ذنوبه :

فتبسمت عجباً وقالت حقه أن لا يعلمنا بما لا نعلم

علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدالي ذي هوى متقسم

وذكر جمال الحبيبة عنصر من عناصر القصيدة الغزلية ومن الشعراء من يعطيه مسحة خاصة تدل على تطور هذا ألفن وتطور لغته ، فذو الرمة يستفيد من الآية القرآنية التي تصور إرادة الله ومشيئته في أن يقول للشيء (كن فيكون (فيصف من خلالها عيني بثينة قائلا:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

و كثير عزة يستفيد من فكرة نشر الموتى يوم القيامة فيصف جمال صاحبته بحيث يكفي أن تلمس الميت لينشر لتعود إليه الحياة :

والميت ينشر أن تمس عظامه مساً ويخلد أن يراك خلوداً

*ويلاحظ من خلال هذه الأشعار أن اللغة الشعرية الغزلية قد أصابها تطور كبير بعد الإسلام بسبب رقة المشاعر التي هذبها الإسلام و توجه فيها الغزل وجهة عفيفة بعيدة عن الفحش خاصة في الغزل العذري، وقد ظهر هذا جلياً في الشعر المنسوب إلى بني عذرة وفي شعر جميل بثينة و كثير و غيرهم.

*ولعل أطرف ما وصل إلينا من شعر يمثل تهذيب النفس المحبة بسبب تعلقه بمبادئ الاسلام.

* فالمتتبع لفن الغزل في هذا العصر يجده قد تطور تطوراً كبيراً ما كان له أن يتطور لولا نزول الاسلام. و هذا التطور اتخذ سبيلين في العصر الإسلامي . ففي عصر الدعوة ابتعد الشعراء عن قول الغزل إلا في المقدمات التقليدية بسبب إنشغالهم في الدفاع عن

الدعوة ، والعقيدة حتى إذا استقرت النفوس عادوا ليعبروا عن ما تعانيه نفوسهم من مشاعر وأحاسيس. يقول جميل بثينة:

ألا ليت أيام الصفاء جديـــــــد	ودهراً تولى يا بثين يعـــــود
فنغني كما كنا نكون وأنتـــــــم	وصدق وإذا ما تبذلين زهـــيد
وما أنس ما الاشياء لا أنس قولها	وقد قربت نضوي أمصر تريد
ولا قولها لون العيون التي تـــرى	أتيتك فاعذرني فدتك جـــــدود
خليلي ما أخفي من الوجد ظـــاهر	فدمعي بما أخفي الغداة شهيد

من يريد أن يحفظ المزيد عليه الرجوع الى القصيدة صفحة 249 وما بعدها في كتاب د.ابتسام مرهون الصفار.

وقد تطور هذا الفن في العصر الاموي وأصبح له أعلامه وشعراؤه المعروفين.

*وقد اتخذ هذا التيار مسارين أولهما عرف بالغزل العذري ، وآخر عرف بالغزل الماجن أو الغزل الفاضح أو الغزل الحسي اللاهي. مثل هذا المسار عمر بن أبي ربيعة.

* لقد اتخذ شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الغزل في الحجاز سمة الصراحة في الغزل في ذكر أسماء من يتغزل بهن ،أو يشبب بهن ،أو يتخيل أحاديث ومواقف وقعت معهن.

*فالشعراء العذريون أشعارهم مليئة بالعاطفة الحارة الصادقة و المودة لمن يحبون.

وقد تعددت الفتيات اللائي تغزل بهن عمر بن أبي ربيعة بينما قصر الشاعر العذري حبه على واحدة.

*وقد أستفاد عمر بن أبي ربيعة من هذه العناصر والأفكار التي دخلت لغة الغزل استلهمها في بيان حبه و وجده وفي بيان و نقل الحوار الذي يدور فيه أشعاره.

*وذكر جمال الحبيبة عنصر من عناصر القصيدة الغزلية. ومع ذلك وجدنا بعض الشعراء من يعطيه مسحة خاصة تدل على تطور هذا الفن و تطور لغته.

*فذو الرمة يستفيد من الآية الكريمة التي تصور إرادة الله ومشيئته في أن يقول للشيء كن فيكون، فيصف من خلالها عيني بثينة قائلاً:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

إن اللغة الشعرية الغزلية قد أصابها تطور كبير بعد الإسلام بسبب رقة المشاعر التي هذبها الإسلام وتوجه فيها الغزل وجهة عفيفة بعيدة عن الفحش خاصة في الغزل المنسوب الى بني عذرة وفي شعر جميل بثينة وغيرهم.

*إن المتتبع في هذا الفن الشعري يجده تطور تطوراً كبيراً و هذا التطور ما كان أن يكون لولا نزول الاسلام والظروف الجديدة التي طرأت في حياه العرب.

*فقد تأثر بالقرآن الكريم ومعانيه واخيلته وتوجيهاته.

سمات الغزل العذري والصريح

1-إتسم الغزل بمساريه العذري والصريح بإعتماده أسلوب الحوار و الحكاية فكثر تعبير قال، وقلت، حتى تحولت بعض القصائد إلى قصص قصيرة يحكيها الشاعر عن نفسه مع صاحبته أو صاحباتها.

2-رقة اللغة الشعرية في المسارين الصريح و العذري سمة عامة لطبيعة موضوع الغزل ورقته. و لغة الشعر في الغزل الصريح والعذري واحدة إلا أن ألفاظاً بعينها كثر ورودها تتعلق باللقاء والأحاديث الفرحة واللوعة.